انتفاضة المخيمات

ميرا صيداوي*

أبو الدامور تظاهر طلباً للحقوق.. ومات

اعتصام في برج البراجنة احتجاجاً على حملة وزارة العمل.

... لا شيء لدينا، لا شيء معنا، فلمَ لا نقاوم؟

نظرنا إلى بعضنا البعض كأن الكلمة ما زالت تحمل ثقلاً قديماً نعرفه. الجميع أجبر نفسه على فعل شيء ما. منّا مَن "تكمّش" بالسيجارة، ومنّا مَن افترش الأرض لينام قليلاً، ومنّا مَن جلس يبحث في الكتب عن حل للمأزق الذي وُضعنا فيه جميعاً.

وحده أبو الدامور ظل يتنفس ببطء كلمة "مقاومة" التي يعرفها هذا الرجل جيداً. فهو واجه، وبحسب قوله، جميع المخططات لـ "القضاء علينا". كشف عن صدره في معارك حصار المخيم صارخاً بالناس: "عليّ وعلى أعدائي..."، وحمل الجثث في أيام مجزرة صبرا وشاتيلا وصرخ قائلاً: "عليّ وعلى أعدائي"، وعندما رحل الجميع من لبنان، اختار البقاء. ظل مؤمناً بأننا بخير، وعلينا وعلى أعدائنا. أبو الدامور لُقّب بهذا الاسم، نظراً إلى طلبه

* مخرجة وممثلة وكاتبة فلسطينية.

يومها تحويل الدامور إلى مخيم بعدما أذهله الشجر والهدوء في تلك المنطقة، وتمنى لو أن المخيم يمسي مثل الدامور أخضر. ثم لم يمنع نفسه من إرسال طلب إلى منظمة الأمم المتحدة لبناء مخيم في الدامور.

الجميع سخر من فكرته تلك.

أبو الدامور كان يرى أن المقاومة لا تموت، وأن الأبطال كُتب عليهم الولادة أكثر من مرة بأشكال متنوعة. لذلك، ظل وحده يؤمن بالمقاومة التي تحولت مع الوقت، في المخيم، إلى شعارات لا أكثر.

حرك أبو الدامور قدميه واستدار نحونا. لا أدري ما الذي التقطته عيناه. كنا صغاراً مقارنة بما عاشه، وصرخاته التي تكررت في مواقع الألم لم نتقنها يوماً. إنه يدرك أننا الآن نؤمن أكثر من أي وقت بكلمته: "عليّ وعلى أعدائي"... إذاً. ولمَ لا؟

وزّعنا أنفسنا بين مطالبين بالحراك ومطالبين بالغضب. وجلس بيننا أبو الدامور منصتاً. قلنا نقوم بمسيرات مدنية للمطالبة بحقوقنا لا أكثر. وحددنا المسيرات داخل المخيمات، وانتبهنا إلى ضرورة تضامن هذه المخيمات معاً.

وقمنا بإنشاء صفحة في الفايسبوك لنشر الفيديوهات والبيانات من هيئة الحراك السلمي الذي نجسده نحن.

وتحدثنا في ضرورة تجنّب حرق الدواليب لأن الرائحة ستعود إلى بيوتنا في المخيم.

وفكّرنا في صُنع لوغو مختص بتلك التحركات كلها، واتفقنا على أن نلتقي الجمعة المقبلة مع نتائج جديدة قد تصدر من وزير العمل.

ومضينا كل في طريقه. وعاد يومها أبو الدامور معنا إلى منزله الواقع في مخيم مار إلياس. ومشيت معه ليلتها طويلاً. لم نتحدث بشيء عميق يومها. لا أذكر إلاّ إننا ضحكنا من كل قلبنا على طرق حياتنا داخل المخيمات متجنبين الموت. يومها قال لي: "نحن نقفز مثل الجنادب من ميل لميل، ولك حتى الشمس إذا ما فاتت ع المخيم ما بتفرقش معنا، منعمل غيرها، إحنا شمس بعض."

أوصلته إلى منزله، وفي اللحظة الأخيرة وقبل توديعه، جرّني من يدي وقال: "انتبهي، كلهم باعونا من زمان، وهسّا أجا وقت التسليم. إسمعي، الوضع (سيىء)، والمخيمات خلص دورها ع الأرض، كلو متآمر علينا.. الدنيا كلها بأنظمتها. انتبهوا ع حالكم، هسّا بطّلت قصة مقاومة، هسّا صارت دفاع عن حقك بالوجود، يعني بالعربي المشبرح جابوا ممحاي كبيرة وبدهم يبلشوا يمحونا. إحنا شوكة بظهر إسرائيل والأنظمة العربية التانية. أنا بعرفش إذا بعد فيني حيْل، بس هاي أول مرة بخاف. والخوف بيعني أنو ما عادش في وقت... أكلونا بالتعميمات."

أدار العجوز ظهره، وسرت رعشة في قلبي: "أكلونا بالتعميمات..." خفت مثله، وعدت إلى منزلي؛ احتضنت ابني طويلاً، ووددت لو أختفي للحظات أنا وهو، لو نختفي كلنا في مخيم برج البراجنة.

وفي اليوم الثاني بدأنا بمسيراتنا، وكانت المسيرة الأولى التي تخرج من الحواري في المخيمات كلها. حشود من الناس تمشي باحثة عن مساحة ما داخل الحواري الضيقة والزواريب. فكّرنا في تحويل المسيرات كلها إلى الأسطح. وفعلاً، صعدت النسوة إلى السطوح، ووقفن صامتات ينظرن إلى السماء تارة، ويتأملن المدينة البعيدة تارة

أُخرى، بينما يتصبب العرق من وجوههن. الرجال فرشوا جدران المخيم بكثير من البوسترات، و"التوكتوك" الذي يجوب أزقة المخيم حمل مكبرات الصوت التي تعلو منها أغاني الثورة. وعلى الرغم من تقطّع الصوت المستمر، فإننا رأينا مدى تأثير الموسيقى في الهتافات الصاعدة. كان مشهداً خرافياً. مخيم برج البراجنة يفك حصار نفسه بنفسه، ويعانق الرغبة الشديدة في التظاهر والصراخ والتجمع. إنها نقطة الثورة الآن. النساء من على الأسطح تماماً كمشهدهن في مخيم عين الحلوة قديماً، إنما هذه المرة من دون الجنود الإسرائيليين، ومن دون الزيت الذي كُنّ يصبُبْنه على هؤلاء الجنود لدى مرورهم بأزقّة عين الحلوة.

نساء برج البراجنة يقفن على الأسطح، ويتظاهرن بعيون تتسع للضوء؛ يزغردن من فوق، وعمتي ميسّر تصرخ قائلة: "... ألف كلمة إرهاب ولا كلمة الله يرحمو. يلا نطلع، يلا ع الطرقات."

علا الهتاف فجأة، ومشى الجميع متخطين حاجز الجيش اللبناني. تسمّر الحاجز أمامنا مردداً: "مجانين، إرجعوا." دفعنا الحواجز والأسلاك جانباً، ووصلنا إلى وسط الشارع. وقفنا واستدرنا شمالاً ويميناً.. "ماذا نفعل الآن؟" سأل صديقي. السيارات تحيط بنا من كل جنب، وأبواقها تعلو، والشرطي على الحاجز يصرخ ويهدد. كلنا متسمّر وعالق في وسط الطريق أمام مخيم برج البراجنة. أحد سائقي السيارات يصرخ ويهدد أيضاً: "إرجعوا على بيوتكم يا فئران"، لكن آخر يصيح: "معكم حتى الموت، تحيا فلسطين." شعرنا لوهلة بأننا كل فلسطين. نقف في وسط الشارع، السيارات تحيط بنا والمدينة بقدر ما تريدنا ترفضنا. يرن هاتفي، أجيب تحسباً لأي طارىء.. أسمع صوت امرأة. أجمد في مكاني، يختفي الصوت ويعود مكرراً: "أبو الدامور عطاكي عمرو، الجنازة بعد ساعة، تعالي."

لا أدري ما الذي حدث في داخلي، لكنني خفت. وبكيت. بكيت ضياعنا ومخيماتنا، وبراءتنا، وحقارتنا، وكل شيء. ووجدتني أصرخ بالجموع: "مات أبو الدامور يا أبو هلال، مات أبو الدامور يا أم يحيى... مات..."

بدأ الناس يرددون آيات من القرآن الكريم عن روحه ويدعون له بالرحمة. تركت الجميع وقررت الذهاب إلى جنازته، وبينما هممت بخطواتي الأولى، وجدت الجميع يمشي خلفي نحو الجنازة. برج البراجنة كله صغاراً وكباراً مشى مسيرة طويلة إلى مخيم مار إلياس لتشييع الرجل. فجأة هدأ كل شيء. أبواق السيارات، صراخ العسكري، كل شيء عاد إلى طبيعته بينما تمشي أقدامنا بهدوء إلى الجنازة.

في أثناء تشييعه وقفت على المنصة ولم أجد كلمة أُخرى لأعبّر عمّا يعتمل في نفسي في تلك اللحظة: "لماذا قال غسان إننا لم نطرق جدار الخزان... نحن هنا ونطرقه بكل قوة ولا أحد يريد سماعنا. نحن هنا داخل الخزان، وهم يريدون إغراقنا ونحاول جاهدين الصراخ كي نبقى في قيد الحياة لا أكثر. أبو الدامور الذي قال إن الحرية لا تأتي إليك، وإنما عليك أن تلتقطها وتضعها في يديك مراراً وتكراراً، لم يمت..."

لنحاول غداً أيضاً... لنحاول كل يوم... اليوم إلى جنازة أبو الدامور، وغداً نمشي حفاة إلى فلسطين...

هيا لنفتح الخزان بأيدينا إن لم يُرد أحد فتحه.

"بيهمش وإذا ما انفتح، بيطوف.." ■

انتفاضة المخيمات

معاذ أبو العلا*

العفوية سبقت التنظيم في عين الحلوة

شباب الحراك الاحتجاجي في عين الحلوة خلال لقاء ميداني.

برزت الدعوات في مخيمات لبنان إلى الإضراب العام في ٢٠١٩/٧/١٥ رفضاً لخطة وزارة العمل اللبنانية لتنظيم العمالة الأجنبية، والتي شملت اللاجئين الفلسطينيين، وكان قد سبقها احتجاجات محدودة في مخيمَي نهر البارد والرشيدية في ٢٠١٥/٧/١٢.

تأخر عين الحلوة في الاستجابة لنداءات المشاركة، وتقرر الإضراب في يوم الثلاثاء الموافق فيه ٢٠١٩/٧/١٦، وفي الليلة التي سبقت هذا التاريخ، اجتمعتُ مع بعض الأصدقاء الناشطين لوضع مسار يضمن استمرارية الحراك وتوجيه المعتصمين إلى الاتجاه الصحيح للمطالبة بحقوقهم المدنية بالطرق السلمية التي كفلها القانون الدولي لحقوق الإنسان.

في تمام الساعة الرابعة فجراً توجهنا إلى أحد مداخل عين الحلوة لإغلاقه، بحسب الموعد المتفق عليه، لنجد مئات الشبان وقد انتشروا على مداخل المخيم لإغلاقها؛ ومنهم مَن أحضر الإطارات المطاطية لاستخدامها في إغلاق الطرق. وعلى الرغم من حساسية الوضع في عين الحلوة وتعدد الفصائل، فإنني، ولأول مرة، أشاهد مثل تلك الوحدة

* ناشط حقوقي وشبابي.

بين أبناء المخيم الذين تركوا جميع خلافتهم جانباً، وباتوا يداً واحدة في تنفيذ الاعتصام للاحتجاج على إجراءات خطة وزارة العمل خاصة، وللمطالبة بكامل حقوقهم المدنية عامة. ولأول مرة منذ وجودي في عين الحلوة، رأيت الشاب المقيم في حي صفوري يدخل حي الطوارىء بكل أمان، وابن حي الصفصاف يدخل حي البركسات ليؤازر أبناء البركسات في اعتصامهم.

في اليوم الأول، ومع تقدم الوقت، كنا نخشى من انخفاض عدد المعتصمين، لكن ما حدث هو العكس، فأعداد المعتصمين كانت تزداد، والأغاني الوطنية الفلسطينية كانت تصدح عند الحواجز. واللافت للنظر هو مشهد صغار السن الذين كانوا يتنقلون بين زواريب المخيم الضيقة للبحث عن الإطارات المطاطية من دون توجيه من أحد لإعطائها للشباب الذين يغلقون المداخل.

انقضى نهار اليوم الأول، وعند حلول الليل قرر الشبان مواصلة الاعتصام والبقاء عند مداخل المخيم إلى أن ينالوا مطالبهم المحقّة، وآزرهم في ذلك الأهالي الذي بدأوا يُحضرون الماء والطعام للمعتصمين.

على مدار ١٢ يوماً، واعتباراً من اليوم التالي للاعتصام، بدأت تخرج تظاهرات شعبية عفوية بالتزامن مع الوقت المحدد لإغلاق الطرق. التظاهرة الأولى كانت يوم الأربعاء وسار فيها آلاف اللاجئين، لكن يوم الخميس شكل الفارق الأكبر حين دعا شباب الحراك إلى تظاهرة، فخرج المخيم عن بكرة أبيه، وجاب المشاركون جميع أحياء المخيم من دون خوف من أي فصيل، مكرّسين وحدة شعبية خلقها الحراك، بعيداً عن خلافات الفصائل المسلحة.

ربما أستطيع القول إن هذه التظاهرة دقت ناقوس الخطر لدى الفصائل التي سعت لركوب موجة الحراك وتحويلها إلى مصلحتها، عبر الدعوة إلى تظاهرة في يوم الجمعة. وفعلاً، هذا ما حدث، وعندما توجه الشبان الموجودون على مداخل المخيم إلى أداء صلاة الجمعة في المساجد، هبّت النساء وذهبن إلى أحد مداخل المخيم وأغلقنه نيابة عن الشباب.

استمرت الاحتجاجات بالوتيرة نفسها لمدة ١٠ أيام على الرغم من الضغط الشديد، وفي يوم الخميس الموافق فيه ٢٠١٩/٧/٢٥، قررت الفصائل فتح المداخل بقوة السلاح. تولد لدينا شعور باليأس والاستسلام. كان الإحباط شديداً، وكنا نتناقش ونحن في الطرقات، في ماهية الخطوات التالية، لنتفاجأ بخروج تظاهرة نسائية عفوية تحركت نحو مداخل المخيم لإعادة إغلاقها، فدبّ النشاط مجدداً بين الشبان الذين عادوا مثلما كانوا في اليوم الأول. واستمر هذا النشاط حتى مساء يوم السبت عند صدور بيان للفصائل الفلسطينية يدعو إلى فتح المداخل، وإقدام حركة "فتح" على فتح جميع المداخل بالقوة.

عند فجر يوم الأحد خرجت تظاهرة في محاولة لإعادة إغلاق المداخل، لكنها ووجهت بتهديد غير مباشر باستخدام القوة. ومن أجل الحفاظ على سلمية الحراك اضطررنا إلى التراجع والاكتفاء بالتظاهرات.

المشهد الأجمل الذي ترك أثراً كبيراً لديّ، كان تقديم شباب الحراك الورود لعناصر الجيش اللبناني، تأكيداً لسلمية الحراك والتعايش السلمي اللبناني – الفلسطيني. ■

انتفاضة المخيمات

أيهم السهلي*

"سوس المكان".. ضمير المخيم

تجمّع احتجاجي في مخيم مار إلياس.

حين عكفتُ على كتابة التالي تذكرت أني فلسطيني يحمل صفة السوري، وأنه ليس من حقي البوح بما يجول في خاطري نحو أبناء شعبي الذين يحملون صفة اللبنانيين.

سخرت من نفسي، إذ استعدت قضية مخيم النبطية الذي أبيد؛ ولاحقاً تل الزعتر؛ ثم صبرا وشاتيلا حيث المجزرة؛ وفي آخر عقد الإبادات في لبنان، على أمل بأن يكون الأخير، كان مخيم نهر البارد، لتنتقل العدوى إلى سورية، فيُباد مخيم اليرموك، آخر واقعات التهجير المستمر، ولا أحد يعلم أي مخيم سيكون التالي.

* صحافي فلسطيني.

المخيمات حين أوجدها العالم، أوجدها كي يبيدها، وكي يستمر الصراع والخراب الذهني بحقّ شعب مورست عليه الإبادة الأولى حين هُجّر من أرضه، وبات هذا التهجير موضع نقاش وجدال وبحث ورؤى في بعض الأحيان لا يمكن لها أن ترقى لتكون أكثر من نسج كلام خرافي عن شعب أُبيد.

لا بأس حتى الآن.

كل ما ورد يمكن معالجته بالتاريخ مع مرور الأزمان، وتوالي الأحداث والصرخات.. وصرخة المخيمات الفلسطينية هذه في لبنان، هي أحد آمال اللاجىء الفلسطيني بأن يكون حراً كريماً، وأحد الاعتراضات على النكبة، فالثورة والصرخة تعبيران عن رفضنا المستمر للظلم التاريخي الذي حل بنا وببلدنا.

أنا من الأشخاص الذين يعتبرون أن أي حراك يحتاج إلى قادة، وأشعر بأن حراك القادة لا بد من أن يولد من رحم الفكر..

في ذلك المخيم الصغير الذي أُطلق عليه اسم كنيسة جاورها، "مار إلياس"، انتظم حراك يومي تتخلله ندوات تعريفية بقانون العمل وباقي القوانين.. في هذا المخيم كان القائمون على الحراك شباباً لا شغل لهم سوى أنهم يسندون الجدران.. لأنهم بلا عمل، وبعض أهل المخيم لا ينظر إليهم إلاّ على أنهم "سوس" المكان.

لكن هؤلاء "السوس" عندما أدركوا أن ما يحدث يمسّهم، ويمسّ بقاءهم، كانوا الضمير الذي خرج ليهتف باسم المخيم، فبدا كأن الماضي المتراكم في وعيهم وذاكرتهم جعلهم يدركون أن الكارثة قادمة لمجرد أنهم ينتمون إلى هذا الشعب الذي فرّطت فيه قيادته.. ولأن بعضهم "زعران" فقد انتفضوا هذه المرة ضد الظلم الذي فرضه الأمر الواقع عليهم وعلى ذويهم وعلى أولاد بعضهم، وهذا على الأقل ما حدثني به "م. غ." الذي يحب فتاة من مخيم شاتيلا، ويرغب في الزواج بها، وإنجاب أطفال "لاجئين" منها، سيُحرمون من كل حق، بحسب تعبيره.

العرب والمسلمون في الغالب ينتمون إلى القضية الفلسطينية، بعضهم من منطلقات قومية، ومن كون جيوشهم حاربت في جيش الإنقاذ، والبعض الآخر من كون المسجد الأقصى وقف إسلامي، وبعضهم، كرامة للمسيح وأمه في فلسطين التي هي مهده..

لكن أبناء مخيم مار إلياس، وعين الحلوة، واليرموك، وحندرات، والأمعري، وجرش، والبقعة، وسائر المخيمات، لا يعرفون من الكلام السابق كله إلاّ لفظة العودة التي تجهر بحقّه من دون مواربة..

لذا، خرج أبناء المخيمات، لا للمطالبة بحق العمل، ولا بإقرار حقوقهم المدنية ريثما يعودوا إلى أرضهم.. وإنما ليطالبوا بأرضهم.. أرضهم الفلسطينية فقط.

ممّن؟

من الكل.. الكل. ■

انتفاضة المخيمات

إياد صنديد*

غابت زحمة المخيم وعلا الصوت

متظاهرون عند مدخل مخيم الرشيدية.

أيقظتني أمي في صباح يوم الاثنين الموافق فيه ١٥ تموز/يوليو لأذهب إلى الجامعة، فتململت من الاستيقاظ باكراً، لكن عندما نظرت إلى ساعة الحائط أدركت أني تأخرت، فنهضت بسرعة وارتديت ثيابي على عجل.

خرجت من المنزل متجهاً إلى بداية الشارع حيث تكثر سيارات الأجرة وتتنافس على الراكب، لكن المفاجأة كانت أنني لم أجد أي سيارة. استغربت الأمر، وقلت في نفسي: اليوم هو بداية الأسبوع، وربما يكون هناك ركاب كثر سبقوني ولم يتركوا لي واحدة

* ناشط شبابي مقيم في مخيم الرشيدية.

تعينني في الوصول إلى مقصدي.

قررت المسير حتى مدخل مخيم الرشيدية، ثم الصعود إلى الطريق العام لعلّي أجد سيارة مارّة تقلّني فأتلافى إمكان الغياب عن صفي.

صدمني مشهد آخر عند مدخل المخيم حيث كان عدد من الشبان يقطعون الطريق بالإطارات المشتعلة، احتجاجاً على قرارات وزارة العمل وممارساتها.

لم يمضِ وقت طويل حتى تجمهر السكان كأنهم كانوا ينتظرون تلك اللحظة منذ زمن، لكنهم يحتاجون إلى مَن يبدأها، "وهاي هي"، خرج رجال ونساء؛ أطفال وكبار سن وفتيان ومقعدون وشباب، ليقولوا لا.

مشاعر مختلطة كانت تموج في المكان. صحيح أن الغضب والقهر هما المسيطران، لكن كان هنالك أيضاً مشاعر وعواطف تلفّ المكان. عنفوان الشباب وهمّتهم كانا كافيَين لإزاحة جبل من مكانه؛ كان الكل يعمل والكل يهتف، والكل ينظف.

كثيرون رفضوا الذهاب إلى أعمالهم، وقرروا أن يكونوا جزءاً من الحراك. النساء جئن لشحذ الهمم وتوزيع المياه؛ مطاعم وحوانيت كثيرة بدأت بإرسال الأطعمة إلى المعتصمين.

شبان كانوا في نزاع دائم بسبب اختلاف توجهاتهم السياسية وقفوا جنباً إلى جنب متراصّين، خالعين ثوبهم الفصائلي ومرتدين بدلاً منه ثوبهم المخيماتي الوحدوي.

أستطيع القول إن شرارة التحركات بدأت منذ تلك اللحظة لتنتقل بعدها إلى سائر المخيمات تباعاً.

ومن دون إعلان مسبق، سيطر الإضراب على المخيم، وقاطع السكان الخارج: لا مواد غذائية ولا خبز ولا خضروات، كما أن تجار المخيم التزموا تماماً، اقتناعاً وليس جبراً. وفي الوقت نفسه انطلقت حملة وحدة المخيمات، وبدأ عدد من الشباب بجمع التبرعات لمخيم عين الحلوة من أجل مساندته في إضرابه، فتبرّع الناس بسخاء، وتنافس التجار على حجم المشاركة.

وجود أراضٍ زراعية في الرشيدية حفّز شباب المخيم على العمل كمزارعين، وعلى جني المحاصيل وإرسالها إلى عين الحلوة، كما أن أصحاب الحقول باعوا المحاصيل بلا ربح، وقدّموا كثيراً منها كدعم وتبرّع.

جاء يوم الجمعة وخرج المخيم عن بكرة أبيه في واحدة من أكبر التظاهرات في تاريخه. لم تثنِ المتظاهرين حرارة الشمس، وإنما زادتهم إصراراً؛ النساء الطاعنات في السنّ كُن على الشرفات يرمين الأرز والمياه ويطلقن الزغاريد؛ الحناجر تصدح بأعلى طاقتها حتى أصبح الصوت المبحوح مفخرة لصاحبه.

التحركات لم تنتهِ يوم الجمعة، وإنما استمرت بصورة أكثر تنظيماً، ذلك بأن الفصائل اشتركت مع الشباب في إدارتها وتنظيمها. ■

انتفاضة المخيمات

وائل فرغاوي*

اللاجئون يُمسكون بقرارهم

طفل ووالده في تظاهرة في مخيم نهر البارد.

أعاد الحراك الذي شهدته المخيمات والتجمعات الفلسطينية في لبنان احتجاجاً على قرارات وزير العمل، جمهور اللاجئين إلى دورهم الحقيقي، فارضاً موقعهم في اتخاذ القرارات.

قبل هذه الانتفاضة، كانت تحكم الشباب في المخيمات مشاعر التسليم بعدم قدرة أهالي المخيمات أو الشعب الفلسطيني على مجابهة المخططات المعادية للقضية الفلسطينية، فضلاً عن الافتقار إلى الإحساس بقوة الجماعة الناتج من القهر المتزايد من الوضع الحالي، والخوف الدائم من الرضوخ للواقع عوضاً عن مجابهته، الأمر الذي ولّد عند فئة لا يستهان بها من الناس شعوراً

* ناشط شبابي من مخيم نهر البارد.

بالاضطهاد اليومي إزاء الحد الأدنى من حقوق الإنسان، لجهة إتاحة فرص العمل، وحرية التنقل بما فيها حرية السفر، وليس آخرها حرية شراء منزل أو امتلاك عقار.

في هذه المرحلة، وبعد انفجار الوضع في المخيمات، والأشكال التي اتخذها هذا الحراك، تكشَّف لنا ما يعتمل في بنية مجتمع اللجوء الفلسطيني من تقلبات وشعور جماعي بانسداد الأفق أمام تطلعات هذا الشعب وطنياً وسياسياً ومعيشياً، كما سمح لنا بمعرفة المآزق والتناقضات التي أفرزتها الأعوام الماضية حيال الفشل في إدارة ملف اللجوء الفلسطيني في لبنان.

رأيت في داخل هذه الحشود كياناً جماعياً جديداً يتشكل، ونواة شبابية نشطة تتبلور بمرونة من دون تأثيرات خارجية، وأن هذه النواة التي أفرزتها المرحلة الراهنة استطاعت تحويل الجماهير من كتلة جامدة إلى قوة مشارِكة في إعادة توزيع موازين القوى والحق في تقرير المصير والتعبير عن آمالها وتطلعاتها.

لقد استطاع التحرك تحقيق مجموعة من المسائل:

١ – تحصين المجموعات الشبابية الفاعلة من الداخل رفضاً لأي خروقات (لوحظ توحيد عدة أطر شبابية تحت إطار واحد بالتزامن مع التحركات في المخيمات).

٢ – تذويب الهوية الحزبية والفصائلية في المصلحة الوطنية، وبروز الهوية الوطنية (التشديد على رفع العلم الفلسطيني فقط خلال التظاهرات والاعتصامات).

٣ – حضور الموروث الشعبي الفلسطيني في الهتافات بشكل لافت (الأغاني الفلسطينية؛ حضور الدحّية على مكبرات الصوت في التحركات؛ مبادرات فردية للمشاركة بالثوب الفلسطيني خلال التحركات).

٤ – التركيز على إلغاء الجغرافيا والديموغرافيا من الوعي الجماعي عبر التنسيق مع ناشطين في فلسطين المحتلة لإقامة تحركات تضامنية (حدث ذلك في القدس وغزة، وتجسّد بوقفة في رام الله)، علاوة على التأكيد أن المخيمات كلها مخيم واحد، وقد برز ذلك خلال تأبين أهالي مخيم نهر البارد للشهيد حسن علاء الدين (الخميني) الذي اغتيل في عين الحلوة في أثناء الحراك الشعبي.

لقد عاد ملف اللجوء إلى الصدارة، والفلسطينيون أعادوا تنشيط حركتهم الجماعية، وانتفض الناس على الواقع عبر استعادة المدن والقرى التي هُجّروا منها، من خلال الأغاني التراثية.

العيش بكرامة هو حقنا، وهذا هو الهدف الأكبر لحراك المخيمات، وعلى مَن يعمل بالشأن العام أن يعيد قراءة الواقع الفلسطيني في لبنان بالمنطق والعقل لا بالخلفية السياسية، وأن محاولة تحسين هذا الواقع أفضل من الاصطدام به. ■

انتفاضة المخيمات

سماح حمزة*

غسلتُ عَلَمي

تظاهرة لبنانية – فلسطينية في صيدا.

منذ فترة طويلة لا يخلُ معصمي من ربطتين. لا أذكر صدقاً متى قررت أن أربطهما وأن أختصر الإجابة عن جذوري الأصلية، فأنا، وإن لم تعرّف عني ربطة يدي، تستطيع السلسلة التي كُتب عليها "بين عكا وبيروت" أن تكشف هويتي. وإذا صعُب على البعض التعرف على جذوري، فإن حرفَين يجتمعان ليكوّنا كلمة "آه" كإجابة بلهجة فلسطينية بـ "نعم" تصدح من حنجرتي بكل حزم وثقة، يدلان على أصلي.

لم أختر أن أكون ابنة هذا الشعب العظيم، إلاّ إنني، وإن كنت يوماً أريد أن أشكر الله على نِعمة ما، فأنا لن أشكره على شيء أكثر من كوني فلسطينية. لكن يمكنني أن أكون أكثر صراحة ووضوحاً، إذ لا أريد أن أقول شكراً على كوني لاجئة وفي لبنان تحديداً.

الموضوع معقد للغاية ويصعّب عليّ الشرح، لأنني أعاني هذه الأيام أوجاعاً تكاد

* ناشطة فلسطينية.

تجعلني أكفر بإنسانيتي لا بهويتي فقط، فوالله لو بتّ بلا بيت ولا مأوى، فإن قلبي، بل حتى لساني، لا يستطيعان أن ينطقا بكلمة تعبّر عن امتعاضي ممّا نتكبّده من معاناة لأننا فقط "فلسطينيون".

مكبرات الصوت تصدح في صيدا الآن، تدعو إلى تظاهرات حاشدة. وهناك على بعد كيلومترات قليلة تقع عاصمة الشتات، مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين. انقضى حتى الآن أحد عشر يوماً على الإضراب تنديداً بقرار وزير العمل الجديد، وهو قرار ليس بجديد لأنه موجود أصلاً منذ تسعة أعوام، لكن معالي الوزير قرر أن يطبّق القانون، فأصبحنا نقول: "عندما وصلنا صيدا في العصر صرنا أجانب"، بدلاً من ترديد قول الشهيد غسان كنفاني: "عندما وصلنا صيدا في العصر صرنا لاجئين."

ولِمَ لا؟ أنا العشرينية التي ولدت وكبرت فوق أرض بيروت، أحبّ المدن إلى قلبي، أُصبح غريبة وأجنبية عنها. لكنني بكل صدق، اكتشفت بعد كل ما يحدث اليوم، أن لقب لاجئة أفضل كثيراً من جميع الصفات التي يمكن أن ينعتوني بها. على الأقل أستطيع أن أطالب بحقي في العودة، وأعلم أن وجودي هنا وجود موقت.

غسلت عَلَمي الفلسطيني الكبير، بعد أن مرّ وقت طويل على آخر مرة أخرجته فيها معي من البيت، وعلّقته على حبل الغسيل وليس في نيّتي شيء. صباحاً عندما توجهت إلى عملي، اكتشفت ما لم يكن موجوداً يوماً: أعلام فلسطين منتشرة في أحياء صيدا كلها، وكثيرون هنا علّقوا الأعلام على حبل الغسيل، كي يثبتوا هوية هذا البيت. أعجبتني الفكرة وقررت أن يبقى العلم على حبل الغسيل لفترة لا أعلم مدتها.

الجميع في المخيم ينتظر أن يجتمع الناس كي يبدأوا بالهتاف، ويعلو الصوت منادياً أبناء المخيم لينضمّوا إلى التظاهرة السلمية. كنت أحدّث نفسي وأنا في طريقي إلى العمل: هل سيكون اليوم هو آخر يوم لي هناك؟ هل سأحتاج إلى إجازة عمل كي أزاول مهنتي؟ التساؤلات تنخر رأسي. وبحركة لا إرادية أضع يدي اليمنى على معصمي الأيسر، أعدل الربطة ليطمئن قلبي، ثم أحرك نظري نحوها، وأردد بصوت عالٍ بعضاً من نشيد "موطني"، كي تسمعها كل خلية فيّ.. "الشباب لن يكلّ".

دائماً ما تلحق أمي بي إلى التظاهرات خوفاً عليّ، ربّما، أو لحاجتها هي أيضاً إلى الصراخ والتعبير عن رفضها لجميع ما يحدث، وأنا أعلم ذلك من نظراتها وارتباكها وقلقها عندما أحمل كوفيتي وأمضي. ولعل أكثر ما يطمئنها اليوم أنني موجودة في مقر عملي، وأنني أمضي وقتي كله في العمل لا في الاعتصامات. قبل يومين، عدت إلى البيت ولم أجدها.. أخذَت أمي كوفيتي وذهبت لتهتف عني وتطالب بحقي في العمل. ■